البيوت المسيحية العراقية التراثية في سنجار
بيت عبد الكريم القرقولي أنموذجًا (دراسة عمارية)

أ. م. د. حيدر فرحان حسين الصبيحاوي
جامعة بغداد – كلية الآداب

الملخص

تعدّ مدينة سنجار واحدة من المدن المهمة التي شغلت حيزًا في التأريخ الحضاري عبر العصور، وقد ساعدت عدّة عوامل في استيطان تلك المدينة وديمومة الحضارة فيها، إذ إنَّها تحتفظ بموقع جغرافي منماز أهّلها عبر العصور لتكون ممرًا وطريقًا للقوافل البرية، فقد اشتهرت بكونها مدينة الطرق والقوافل منذ القدم ولاسيما بين العراق وبلاد الشام فضلاً عن أنَّها تتمتع بجمال الطبيعة، ووفرة المياه الغزيرة، وكثرة البساتين، واعتدال مناخها.

ويبدو أنَّها قد استوطنت منذ القدم، إذ وردت في الكتابات البابلية والآشورية بصيغة " سنگارا"، وكانت مدينة سنجار ولا تزال مدينة التعايش بين مختلف القوميات، والأديان، والمذاهب منذ القدم، إذ تعايشت فيها القوميات العربية، والكردية، والتركمانية فضلاً عن الثلاثي الديني الإسلامي، والمسيحي، والأيزيدي. ولعلّ ما يدلّ على هذا التعايش تنوع المباني الدينية لمختلف الأديان في هذه البقعة الصغيرة مثل: الجوامع، والكنائس، والمزارات الدينية الأيزيدية.

الكلمات المفتاحية: قرية الوردية، سنگارا، التقابل والتناظر، المضيف، الرواق.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 9, Issue 29, Aug 2022
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

The Traditional Iraqi Christian Houses in Sinjar
The House of Abdul Karim Al-Qarqali as a model: An architectural study

Haider Farhan Hussein Al-Subaihawi
University of Baghdad- College of Arts

Abstract

The city of Sinijar is one of the important cities that occupied a space in the history of civilization through the ages, and several factors have helped in the settlement of that city and the sustainability of civilization in it , as it maintains a distinguished geographical location, its people through the ages to be a corridor and a way for land caravans, it was famous for being a city The roads and caravans since ancient times, especially between Iraq and the Levant, also enjoy the beauty of nature, the abundance of abundant water, the abundance of orchards, and the mild climate.

It seems that it has been inhabited since ancient times, as it was mentioned in the Babylonian and Assyrian writings in the form of "Sinkara." Sinjar was and still is the city of coexistence between different nationalities, religions and sects since ancient times, as the Arab, Kurdish and Turkmen nationalities coexisted in it, in addition to the Islamic, Christian and Yazidi religious triumvirate. Perhaps what indicates this coexistence is the diversity of religious buildings of different religions in this small spot, such as mosques, churches and Yezidi religious shrines.

Keywords: Al Wardia Village, Sankara, Correspondence and Symmetry, Host, The passage.

المقدمة:

تعدّ العمارة التراثية امتدادًا للعمارة الإسلامية؛ كونها اعتمدت في خصائصها العمارية على فنون العمارة الإسلامية مع مواكبة حركة التطور على مستوى المادة الأولية الداخلة في تشييد المباني التراثية المختلفة فضلًا عن تطور التخطيط العماري وعناصره.

لذا تعدّ دراستها والبحث في تفاصيلها التخطيطية والعمارية من الضرورات القصوى؛ للتعرف على مسيرة التطور العمراني في بلاد الرافدين وتتبع خطوات نضوج الفكر العماري في هذا البلد عبر المدد التأريخية المختلفة منذ بناء أول معلم عماري في حضارة بلاد الرافدين القديمة وصولاً إلى العمارة التراثية.

ويأتي سبب اختيارنا دراسة المباني التراثية بشكلٍ عامٍ؛ كونها تقع في وسط المدن الحديثة ممّا تكون عرضةً للتهديم والتغيير في نسيجها العمراني سواء من أصحابها لمواكبة التطور العماري الحديث أم بسبب المدّ العمراني نتيجة توسع المدن، فضلًا عمّا آلت إليه الحالات الاستثنائية لبلدنا العزيز من حروب وعمليات إرهابية القت بظلالها على تدمير وإلحاق الضرر البالغ للكثير من العمائر التراثية في الكثير من مدننا الكريمة ممّا يفقدنا ويفقد الأجيال القادمة فرصة التعرف والاطلاع على الإرث العماري التراثي، لذا جاءت دراستنا بهدف توثيق جانب مهم من جوانب العمارة التراثية وهي المباني السكنية لتكون شاهدًا على أسلوب الريازة المعمارية التراثية بالأخص في مدينة سنجار التي لم تأخذ فرصتها من الدراسة الميدانية والبحثية إلا بالنزر القليل على الرغم ممّا تملكه من تنوع سكاني من الجانبين القومي والديني والذي بدوره أسهم في تنوع عماراتها التراثية سواء الدينية منها أم الخدمية أم السكنية.

وتطرقنا في هذا البحث لدراسة مثال من البيوت المسيحية البارزة لمعرفة تخطيطه، وعمارته، والمادة الأولية التي شيّد بها، وطرائق التشييد.

أولًا: التعريف بمدينة سنجار:

مدينة سنجار: (بكسر أوله وسكون ثانيه ثم جيم وآخره راء، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة ايام)[١].

وحاليًا هي إحدى الأقضية التابعة لمحافظة نينوى شمال العراق، وتبعد عن العاصمة بغداد بما يقارب (٤٥٠كم)، وتقع على بعد (١٢٠كم) إلى الغرب من مركز محافظة نينوى، ويحدّها من الغرب قضاء تلعفر على الحدود العراقية– السورية، ومن الجنوب قضاء البعاج، ومن الجنوب الشرقي مدينة الحضر[٢].

وتحتفظ المدينة بموقع جغرافي منماز أهّلها عبر العصور لتكون ممرًا وطريقًا للقوافل البرية، إذ اشتهرت بكونها من مدن القوافل منذ القدم ولاسيما بين العراق وبلاد الشام[٣] ، وتتمتع المدينة بجمال الطبيعة، ووفرة المياه الغزيرة، وكثرة البساتين، واعتدال مناخها[٤].

ويبدو أنَّ المدينة قد استوطنت منذ القدم، إذ تدلّنا الأدوات الحجرية الصوانية والبركانية التي عثر عليها في عدّة مواضع من هذه المدينة تؤكد على أنَّها استوطنت في حقبٍ زمنيةٍ قديمةٍ[٥] قد تبدأ منذ عصر الكهوف، إذ استغل الإنسان آنذاك الكهوف الكثيرة المنتشرة على جبل سنجار أماكن آمنة للسكن، ومع تطور الفكر العماري في بلاد الرافدين استطاع مستوطنو المنطقة من بناء البيوت الدائرية إذ عثر على بقاياها غربي سنجار[٦] والتي يرتقى تأريخ أول ظهورٍ لها بحلول العصر الحجري الوسيط ضمن المدة المحصورة بين(١٤٠٠٠–١٠٠٠٠ ق.م)[٧]، مع العثور على الكثير من النتاجات الفخارية التي تعود إلى العصر الحجري الحديث (٨٠٠٠–٥٠٠٠ ق.م)[٨] ممّا يدلّ على استمرارية الحياة في المنطقة، ووردت سنجار في الكتابات البابلية والآشورية بشكل صريح بصيغة " سنكارا "[٩].

وأصبحت سنجار ضمن المدن الإسلامية سنة (١٨ هـ/٦٣٩م) إذ فتحت صلحاً وسكنها قومٌ من العرب[١٠]، ومنذ ذلك التأريخ أخذت سنجار طريقها في النهضة الحضارية العربية الإسلامية وذابت في حوادثها المختلفة.

وكانت مدينة سنجار ولا تزال مدينة التعايش بين مختلف القوميات، والأديان، والمذاهب منذ القدم[١١]، إذ تعايشت فيها القوميات العربية، والكردية، والتركمانية فضلاً عن الثلاثي الديني الإسلامي، والمسيحي، والأيزيدي[١٢]. ولعلّ ما يدلّ على هذا التعايش تنوع المباني الدينية لمختلف الأديان في هذه البقعة الصغيرة مثل: الجوامع، والكنائس، والمزارات الدينية الأيزيدية[١٣].

ومن بين البيوت التراثية للأخوة المسيحيين في المدينة بيت السيد عبد الكريم القرقولي[١٤].

ثانيًا: بيت السيد عبد الكريم القرقوقلي

يقع البيت في قرية الوردية الواقعة على بعد (٥ كم) غربي سنجار، والتي يحدّها من الشمال جبل سنجار ومن الجنوب ناحية القحطانية ومن الشرق قرية جدالة.

وتعدّ القرية من القرى الزراعية المهمة التي يقطنها المسيحيون الارثودكس إذ يذكرها الحموي في معجمه قائلاً: (هذه القرية الكبيرة العامرة كان عندها خان على طريق القوافل، وأنَّ مَنْ يسكن هذه القرية هم من النصارى)[١٥]. واعتمدوا في معاشهم على الزراعة ولاسيما الحنطة، والشعير، وتربية الحيوانات.

أما تاريخ البناء فنعتقد أنَّه قد شيّد منذ بدايات القرن الماضي وبقي الدار مسكونًا من العائلة حتى سنة (١٩٣٥) بعد أنْ أعدم صاحب الدار وهروب باقي عائلته خارج العراق؛ بسبب اتهام الحكومة العراقية آنذاك بتهريب السلاح للأيزيديين حينما كانوا مناهضين للحكومة[١٦]، فضلًا عن طريقة البناء والمواد الأولية المستعملة فيه والتي تؤكد على أنَّ تأريخ بنائه يعود إلى تلك المدة أو قبلها بقليلٍ.

ثالثًا: التخطيط العماري:

أقيم الدار على مساحة مستطيلة الشكل غير متساوي الأضلاع تمامًا إذ ينحسر طرفيه نحو الداخل عند ضلعه الشمالي (صورة رقم ١) وأبعاده عمومًا(٢٥م×١٥م)، ويشغل بذلك مساحة كلية مقدارها(٣٧٥م^{٢}) (مخطط رقم ١).

ويتألف التخطيط العام للدار من طابقٍ واحدٍ، ما عدا جزءًا من ضلعه الغربي الذي كان يقوم فوقه طابق علوي، واتخذ تخطيطه تخطيط البيت العراقي القديم الذي ينماز بالصحن أو الساحة الوسطية المكشوفة التي تحيط بها حجرات ومرافق الدار من عدّة جهاتٍ والذي أصبح أنموذجًا في تخطيط العمارة الإسلامية بشكلٍ عامٍ سواء الدينية أم المدنية أم الخدمية وغيرها[١٧]، ويلحظ فيها اعتماد أسلوب التقابل والتناظر في تخطيطه نوعًا ما. وقد بُني بالحجر وكانت المادة الرابطة هي الجص وكسيت جدرانه من الخارج والداخل بمادة الجص، وعرض الجدران فيه ما بين(٠,٥٠-٠,٦٠م) (صورة رقم ٢).

وللدار مدخلان رئيسان يفضيان إلى داخل الدار والساحة المكشوفة، ومداخل خارجية أخرى يمكن منها الوصول إلى حجرة معينة -وكما سيأتي شرحها لاحقًا-.

رابعًا: الواجهة الرئيسة:

تقع الواجهة الرئيسة في الجهة الشمالية والتي انمازت بأنَّها تتقدم عن الضلع الشمالي بمقدار (٧م) وتمتد بمقدار (١٦م) باتجاه الضلعين الشرقي والغربي، وقد شيّدت على أنَّها وحدة

بنائية مستقلة بذاتها عن بقية تفاصيل البيت، والذي نرجّحه أنَّ الوحدة البنائية المعزولة مخصصة للضيوف لذا ارتأى مالكه أنْ تكون منفصلة تقريبًا عن سكن العائلة (صورة رقم ٣).

وتحتفظ الواجهة بمدخل رئيس ذي محور مستقيم أبعاده (١,١٥م×٢م) – بابه مفقود حاليًا – ونطلّ منه على رواق " ممر" مستطيل وهو الممر الوحيد الذي يربط ما بين خارج الدار وداخله أبعاده (٧م×٢,٥٠م)، وسقف الممر بشكل قبو نصف أسطواني مشيّد بالحجر والجص قائم على جداري الممر، ورصفت أرضيته بالحجر وينتهي الممر بمدخلٍ ثانٍ بأبعاد المدخل الرئيس ذاتها ونوصل منه إلى داخل الدار، والذي نرجّحه أنَّ له باب أيضًا؛ ليتحكم صاحب الدار بعزل وحدات الواجهة البنائية عند الحاجة (مخطط رقم ١).

وعلى يمين الداخل من الرواق نطلّ على حجرتين متداخلتين ذات مداخل مشتركة، هما: الحجرة رقم(٢) مستطيلة الشكل أبعادها(٧م×٣,٥٠م) لها مدخل رئيس يقع في ركن جدارها الشمالي الشرقي أبعاده (١م×٢م) – بابه مفقود حاليًا– وسقفها معقود بقبو نصف أسطواني مشيّد بالحجر والجص وأرضيتها مرصوفة بحجر الحلان المحلي (صورة رقم ٤) وفتحت في جداريها الشمالي والغربي نافذتان مستطيلتا الشكل أبعاد كلّ منهما(١م×٠,٥٠م)، وتوزعت بواقع نافذة واحدة عند كلّ جدارٍ ويغلب الظنّ أنَّ تلك النوافذ كان يغطيها شباك يتقدّمه مشبك، وتخلل جدرايها– سابقي الذكر– ثلاث حنيات أو دخلات مستطيلة غير نافذة، أبعاد الواحدة منها (١م×٠,٥٠م) وترتفع عن الأرضية بحدود (٠,٥٠م) وتدخل في الجدار بعمق(٠,٣٠م) ونعتقد أنَّها المكان المخصص لوضع إحدى وسائل الإنارة مثل: السراج أو الشمعدان أو الشمعة وبعض الحاجات الأخرى، ولربّما كانت وظيفة تلك الحجرة مكانًا لمنام الضيوف (صورة رقم ٥).

وخلف تلك الحجرة تقع الحجرة رقم(٣) التي تشغل حيزًا من الضلع الشمالي الداخلي للدار إلا أنَّها مستقلة عنه إذ لا يوجد مدخل يربط بينهما، مساحتها مربعة الشكل أبعادها(٤م×٤م) والتي يمكن الدخول إليها عن طريق مدخل مشترك بين الحجرتين يقع في الجدار الشمالي الفاصل بينهما أبعاده (١م×٢م)، وسقفها معقود بقبو نصف أسطواني مشيّد بالحجر والجص، وأرضيتها مرصوفة بحجر الحلان المحلي، وكانت خالية من النوافذ، وتخلل جداريها الشرقي والغربي حنيتين مستطيلتين بواقع حنية واحدة في كلّ من جداريها وكانت أبعادها متساوية مع أبعاد حنيات الحجرة السابقة. ويغلب الظن أنَّ هذه الحجرة قد خصّصت لحفظ اللوازم الضرورية للضيافة مثل: الأفرشة، والوسائد، والأغطية.

أما في الجهة المقابلة لتلك الحجرتين فتقع الحجرة رقم(١) كبيرة المساحة وهي مستطيلة أبعادها(١٠م×٧م)، لها مدخل واسع يقع في ركن الجدار الشمالي الغربي أبعاده (٢م×٢م) – بابه

مفقود حاليًا–، يتوسط الحجرة كتفان بنائيان من الحجر مربعا الشكل بأبعاد (١م×١م) ويرتفع عن مستوى الأرضية بحدود(١م) ويقوم فوقه عقدان نصف أسطواني لرفع السقف الذي كان بشكل قبوين متجاورين طوليًا وأرضية الحجرة كانت مرصوفة بحجر الحلان المحلي، وفتحت في جدارها الشمالي نافذتان متجاورتان مستطيلتا الشكل وهما بالأوصاف والأبعاد ذاتها لنوافذ الحجرة السابقة (صورة رقم ٦) وقد تكون مخصصة لاستقبال الضيوف أو ما يعرّف بدار الضيف والمضيف[١٨].

خامسًا: الضلع الشمالي:

بعد تخطي المدخل الثاني للرواق "ممر" الدار الوحيد نطلّ مباشرةً على الوحدات البنائية الداخلية للدار والتي ضمّت حجرتين متجاورتين، الحجرة رقم(٤) مستطيلة الشكل أبعادها (٥م×٣,٥٠م)، ولها مدخل أبعاده (١م×٢م) كان يغطيه باب يقع في جدارها الجنوبي الشرقي – مفقود حاليًا– نصل منه إلى الساحة المكشوفة أو الصحن وسقفها معقود بقبو نصف أسطواني وأرضيتها مرصوفة بحجر الحلان المحلي، وتخلل جدرانها حنيات غير نافذة بأبعاد الحنيات السابقة ذاتها وبالوظيفة العمارية ذاتها، ونرجّح بأنَّ هذه الحجرة كانت مكان تجمع العائلة "حجرة المعيشة " (مخطط رقم١).

وتجاوره الحجرة رقم(٥) مستطيلة الشكل أبعادها(٤,٥٠م×٣,٥٠م) لها مدخل في ركن جدارها الجنوبي الغربي أبعاده (١م×٢م) – بابه مفقود –، وسقفها معقود بقبو نصف أسطواني وأرضيتها مرصوفة بحجر الحلان المحلي، فتحت في جدارها الجنوبي نافذة بالأبعاد والصفات ذاتها للنوافذ السابقة، وتخلل جدرانها حنايا غير نافذة مستطيلة الشكل أبعادها(١م×٠,٥٠م)؛ لحفظ بعض الأدوات، لذا نعتقد أنَّ الحجرة كانت مطبخ الدار(صورة رقم ٧).

سادسًا: الضلع الشرقي:

فتح في هذا الضلع مدخل آخر يوصلنا مباشرةً إلى الساحة المكشوفة أو الصحن، يقع قريبًا من الركن الجنوبي الشرقي سعته بحدود (٢م)، ولا نعلم ارتفاعه؛ كونه متساقطًا حاليًا ولكن يغلب الظن أنَّه لا يقلّ ارتفاعه عن المترين؛ لتوفير حماية أكثر ولاسيما أنَّ المنطقة تكثر فيها الحيوانات المفترسة آنذاك مثل: الذئاب وغيرها فضلًا عن قطّاعي الطرق.

وتقع عند هذا الضلع حجرتان متجاورتان على استقامة واحدة، هما: الحجرة رقم(٦) والتي تقع عند الركن الشمالي الشرقي، مستطيلة الشكل أبعادها(٧م×٣,٥٠م) لها مدخل يقع في ركن جدارها الجنوبي الغربي يطلّ على الساحة مباشرةً أبعاده (١م×٢م) – الباب مفقود حاليًا– سقفها معقود بقبو نصف أسطواني وأرضيتها مرصوفة بحجر الحلان المحلي، وفتحت في جدارها الشرقي المطل على الخارج نافذتان متجاورتان مستطيلتا الشكل أبعاد كلّ منهما

(٠,٦٠م×٠,٣٠م)، ونعتقد أنَّه يغطيها شباك من الحديد ويتقدمه مشبك من الحديد أيضًا؛ لمنع دخول الحيوانات والحشرات فضلاً عن الغبار والرياح الموسمية، ووضعتا النوافذ أفقيًا في أعلى الجدار ولعلّ الغرض من ذلك توزيع الإضاءة الطبيعية والهواء داخل الحجرة بمساحة أوسع ؛ ليشمل أغلب أجزاء الحجرة على خلاف لو وضعت عموديًا فإنَّ الإضاءة ستتركز عموديًا بمساحة محدودة لا تتعدى حدود فتحة النافذة (صورة رقم ٨).

أما الحجرة المجاورة رقم(٧) هي الأخرى كانت مستطيلة الشكل أبعادها(٤م×٣,٥٠م) لها مدخل يقع في ركن جدارها الشمالي الغربي يطلّ على الساحة مباشرة أبعاده(١م×٢م) – الباب مفقود حاليًا– سقفها معقود بقبو نصف أسطواني، وأرضيتها مرصوفة بحجر الحلان المحلي (مخطط رقم ١).

سابعًا: الضلع الغربي:

حوى هذا الضلع حجرتين تقابلان وتناظران حجرتي الضلع الشرقي، مع ميزة وجود سرداب أسفل الأرض.

والحجرة رقم(٨) الواقعة في الركن الشمالي الغربي والتي تقابل الحجرة رقم(٦) في الضلع الشرقي، مستطيلة الشكل أبعادها(٧م×٣,٥٠م) انمازت بأنَّ مدخلها مفتوح من خارج حدود الدار والذي كانت أبعاده(١م×٢م)، عليه باب من الخشب يتألف من مصراع واحد، ويتمّ الوصول إليه بواسطة درج(١٩) مستقيم مبني من الحجر والجص يتكون من عشرة مراقي " درجات" أبعاد كلّ مرقاة (٠,٨٠×٠,٣٠×٠,٢٠م)، وعلى جانبي المدخل فُتحت نافذتين مستطيلتا الشكل تمّ وضعهما أفقيًا وتكون واسعة من الخارج وتضيق فتحتها عند الداخل بحيث يكون تصميمها قريب من شكل المزاغل بالعمارة العسكرية والهدف من ذلك هو؛ لمنع دخول مياه الأمطار إلى داخل الحجرة، فضلاً عن أنَّ لها دورًا فاعلاً في تلطيف أو تهذيب شدّة اندفاع الهواء وضوء أشعة الشمس القوية، والتي تعدّ من المعالجات البيئية في العمارة الإسلامية وكانت غالبًا ما توضع إلى جهة مهبّ النسيم في فصل الصيف الذي يأتي من الجهتين الشمالية والشمالية الغربية(٢٠)، ويؤطر النافذة إطار من الخشب وغطيت النافذتان بمشبكٍ من القضبان الحديدية المتقاطعة عموديًا وأفقيًا لتؤلف مشبكات مربعة أبعاد النوافذ(٠,٨٠م×٠,٤٠م)، وسقف الحجرة معقود بقبو نصف أسطواني وأرضيتها مرصوفة بحجر الحلان المحلي (صورة رقم ٩).

وأسفل الحجرة رقم(٨) يوجد سرداب – لم نستطع النزول إليه؛ كونه مليء بالركام المتساقط – ونعتقد أنَّه يمتدّ مع الحجرة التي تعلوه، ومن المرجّح أنَّ سقفه كان قائمًا على دعامات تحمل عقودًا نصف أسطوانية؛ لإسناده، وتقويته. وتنزل أرضية السرداب بعمق(١م) وترتفع

بحدود(٢م) عن مستوى أرضية الدار، وهذا هو سبب ارتفاع أرضية الحجرة التي تعلوه – سابقة الذكر– عن مستوى باقي حجرات الدار الأخرى.

وللسرداب مدخل أبعاده (٠,٩٠م×٢م) معقود بعقد نصف أسطواني يمتدّ في مقدمته ممر، ويتمّ النزول إليه بواسطة درج يتكون من ثلاث درجات أبعاد الواحدة (٠,٨٠×٠,٣٠×٠,٢٠م) (صورة رقم ١٠)، ونعتقد أنَّ وظيفة السرداب هو؛ لحفظ المؤون وبعض أدوات المنزل الفائضة عن الحاجة مثل: السجاد والمفروشات وغيرها، ويحتمل أنْ يكون ملجأً آمنًا لحيواناتهم من هجمات الحيوانات المفترسة وسراق المواشي، إذ نستبعد أنْ تكون وظيفته للراحة والمنام لأصحاب الدار أيام الصيف؛ كون مدخله خارج حدود الدار فضلًا عن عمقه البسيط (صورة رقم ٩).

وعلى استقامة الحجرة رقم(٨) تقع الحجرة رقم(٩) وتناظر الحجرة رقم(٧) في الضلع الشرقي وهي مستطيلة الشكل أبعادها(٤م×٣,٥٠م) لها مدخل يقع في ركن جدارها الشمالي الشرقي يطلّ على الساحة مباشرة أبعاده(١م×٢م) – بابه مفقود حاليًا –، سقفها معقود بقبو نصف أسطواني وأرضيتها مرصوفة بحجر الحلان المحلي.

ثامنًا: الضلع الجنوبي:

خلا هذا الضلع من الوحدات البنائية ويمثّل مؤخرة الدار ويقع عنده الجدار الخلفي الخارجي للدار (مخطط رقم ١).

تاسعًا: الساحة الوسطية (الصحن):

تتوسط الساحة الوسطية أو صحن الدار الوحدات البنائية من ثلاث أضلاع – كما مرّ شرحه– وهي مستطيلة الشكل أبعادها(٦,٥٠م×٧م)، ويتسع عرضها عند ركني الضلعين الشرقي والغربي بحدود(٧م) وبواقع(٣,٥٠م) عند كلّ ضلعٍ؛ لخلو أركان الضلعين من الوحدات البنائية، وأرضية الساحة ترابية ولعلّها كانت مزروعة ببعض الأشجار في مدة التشييد والسكن به. ولعلها أيضا كانت مكانًا آمنًا لحماية مواشيهم من هجمات الحيوانات المفترسة وسراق المواشي. ناهيك عن دورها البيئي الطبيعي في تعديل مناخ الدار، وتغيير الهواء، وإدخال الضوء، واتخاذها مكانًا لإقامة باقي الفعاليات والأعمال المنزلية[٢١].

عاشرًا: الطابق العلوي:

ذكرنا في مقدمة البحث أنَّ الطابق العلوي شغل جزءًا من ضلعه الغربي، وتركّز تحديدًا فوق الحجرة رقم(٢) الواقعة في الركن الشمالي الغربي من الواجهة الشمالية الرئيسة، والحجرة رقم(٨) الواقعة في الضلع الغربي (مخطط رقم ٢).

ويتمّ الصعود إليه من درج حلزوني مشيّد بالحجارة المهندمة، والجص، ومكسي بالجص ويسقفه سقف نصف أسطواني يتكون من اثنتي عشرة درجة أبعاد الواحدة منها (١م×٠,٣٠م×٠,٢٠م)، ويقع عند بداية رواق "ممر" المدخل الرئيس ويدور في أعلاه فوق باب المدخل وفتحت في جداره الشمالي المطل على الخارج نافذة مستطيلة أبعادها(٠,٦٠م×٠,٣٠م)؛ لإدخال الضوء، والإنارة، والهواء (صورة رقم ١١)، وينتهي الدرج عند مدخل الغرفة رقم(١).

والغرفة رقم (١) تقوم جدرانها فوق جدران الحجرة رقم (٢) في الطابق الأرضي وهي بذلك تكون بالأبعاد ذاتها للحجرة (مخطط رقم ٢)، لها مدخلان أبعاد كلّ منهما(١م×٢م)، المدخل الأول يكون بمواجهة الدرج، أي: في ركن الجدار الشمالي الشرقي يوصلنا إلى الغرفة وهو مدخل معقود بعقد منبطح (صورة رقم ١٢)، أما المدخل الثاني فيقع وسط جدارها الجنوبي نوصل منه إلى سطح الدار. وأرضية الغرفة مُسيّحة بالجص وسقفها معقود بقبو نصف أسطواني، وفتحت في جداريها الشمالي والغربي نافذتان مستطيلتان بواقع نافذة واحدة في كلّ منهما أبعاد كلّ منهما(١م×٠,٦٠م) وكان يغطي النوافذ شباك ويتقدمها مشبك من القضبان الحديدية، وتخلل جدرانها عددٌ من الدخلات غير النافذة مستطيلات الشكل بأبعاد النوافذ ذاتها، كانت تستعمل لحفظ بعض اللوازم وكذلك لتخفيف ثقل الجدران على الطابق الأرضي (صورة رقم ١٣).

أما الغرفة رقم(٢) فتقوم جدرانها فوق جدران الحجرة رقم(٨) في الطابق الأرضي وأبعادها بأبعاد الحجرة ذاتها ، ويمكن الدخول إليها عن طريق مدخل يقع في جدارها الشرقي الذي يطلّ على السطح، وأرضية الغرفة مُسيّحة بالجص. أما سقفها فمتساقط ولكن نعتقد أنَّه كان معقود بقبو نصف أسطواني على غرار سقوف حجرات وغرف الدار الأخرى، وانمازت هذه الغرفة عن الغرفة السابقة بوجود أربع نوافذ مستطيلة فتحت في جداريها الشمالي والغربي بواقع نافذتين في كلّ جدار بالأبعاد ذاتها لنوافذ الغرفة السابقة ، ويغطي كلّ نافذة شباك من الحديد يتقدمه مشبك من القضبان الحديدية (صورة رقم ٩)، وتخلل جدرانها عدد من الكوات المستطيلة غير النافذة بالأبعاد ذاتها لكوات الغرفة السابقة.

إحدى عشر: سطح الدار:

حوت الدار سطحين، السطح الأول هو الذي يقوم على سقوف الطابق الأرضي وشغل مساحة كبيرة تمتد على مساحة سقوف حجرات الطابق الأرضي باستثناء جزء من الضلعين الشمالي والغربي التي أقيم فيها الغرفتين (١و٢) – سابقتي الذكر–، وكان مستوٍ ومن المناسب ذكره هنا أنَّ السطح تمّ تسوية فراغاته الناجمة عن انحدار جانبي أقبية سقوف الحجرات في الطابق الأرضي إذ مليء بالحصى الناعم والأحجار الصفيرة والنورة، ثم سيحت أرضيته بالجص

والطين المخلوط بالتبن؛ لتقويته ومنع تسرب مياه الأمطار، وزيادة في ضمان عدم تسرب الماء نحو الطابق الأرضي عمد المعمار إلى جعل أرضية وسط السطح مرتفعة قليلًا ثم تنحدر انحدارًا خفيفًا نحو أضلاع الدار باتجاه الميازيب التي فتحت في عدّة مواضع من جدار السطح الخارجي " الستارة " المحيط به والتي كانت بارتفاع(١م) (صورة ٢ و٣).

أما السطح الثاني فهو الذي يقوم فوق سقوف الطابق العلوي المحصور في جزء من الضلعين الشمالي والغربي، ومن الملاحظات المهمة في هذا السياق هو عدم عثورنا على درج أو بقايا درج مبني من الآجر أو اللبن أو الحجارة، ممّا يجعلنا نرجّح أنَّ السطح الثاني كان يتم الصعود إليه بواسطة سلم متحرك مصنوع من الخشب أو من مادة أخرى. ولعدم قدرتنا الصعود إلى أرضية السطح الثاني؛ كونه آيلاً للسقوط فنرجّح أنَّ أرضيته سيحت بالجص والطين المخلوط بالتبن على غرار أرضية السطح الأول.

وأحيط به جدار " ستارة " بارتفاع (١م) وقد فتحت في أعلاه عدّة فتحات الهدف منها تخفيف ثقل وضغط الجدران على أساسات الطابقين الأرضي والعلوي وكذلك لتخفيف حدّة سرعة الرياح والعواصف(صورة رقم ١٤).

الاستنتاجات:

بعد دراسة بيت السيد عبد الكريم والخوض في تفاصيله التخطيطية والعمارية نخرج بالاستنتاجات الآتية:

١. انمازت مدينة سنجار بالموقع الجغرافي المهم فضلاً عن وفرة المياه العذبة واشتهارها بالتنوع الزراعي ممّا أهّلها لتكون إحدى مدن القوافل البرية.
٢. تحتفظ المدينة بتأريخ حضاري طويل يمتد عبر قرون طويلة إذ دلتنا الأدوات الحجرية المكتشفة فيها أنَّها استوطنت منذ عصر الكهوف – على الأرجح– واستمرت بالاستيطان في المدد التأريخية في الحضارتين القديمة والإسلامية وحتى وقتنا الحاضر، وعرفت بأنَّها مدينة التعايش بين القوميات والأديان المختلفة.
٣. اتسم تخطيط البيت – موضوع الدراسة– بالتخطيط التقليدي للبيت العراقي القديم الذي يتكون من الساحة الوسطية التي تحيط بها حجرات ومرافق البيت من عدّة جهات، وتميز بأسلوب التقابل والتناظر الذي برز في تخطيط العمارة الإسلامية المبكرة.
٤. اعتمد الحجر المهندم وغير المهندم فضلاً عن الجص في البناء ورصف الأرضيات وإكساء الجدران.
٥. انمازت الواجهة الرئيسة بأنَّها تتقدم عن حدود ضلعها مكونة وحدة بنائية مستقلة بذاتها وشبه معزولة عن باقي تفاصيل البيت والتي ربّما كانت مخصصة للضيوف.
٦. كانت المداخل الرئيسة والثانوية من ذوات المحور المستقيم التي توصلنا إلى داخل البيت بعد اجتياز الممر – كما هو الحال في المدخل الرئيس– أو بشكل مباشر – كما هو الحال في المدخل المطل على الساحة الوسطية ومداخل الحجرات المفتوحة على الخارج–.
٧. اعتمد في عملية التسقيف على القبو نصف الأسطواني.
٨. انمازت بعض نوافذ الحجرات والغرف بأنَّها وُضعت أفقيًا على الجدران؛ بهدف توزيع الإضاءة الطبيعية بمساحات أوسع داخل الحجر والغرف. وتخللت بعض جدرانها على حنيات أو دخلات غير نافذة تستعمل لحفظ بعض أدوات البيت أو لوضع إحدى وسائل الإنارة القديمة مثل: السراج أو الشمعدان.
٩. حوى البيت سردابًا انماز بأنَّ ثلث ارتفاعه أسفل الأرض ويرتفع بمقدار الثلثين فوق مستوى الأرض ويكون الدخول إليه من مدخل يقع خارج حدود البيت.

المخططات والصور

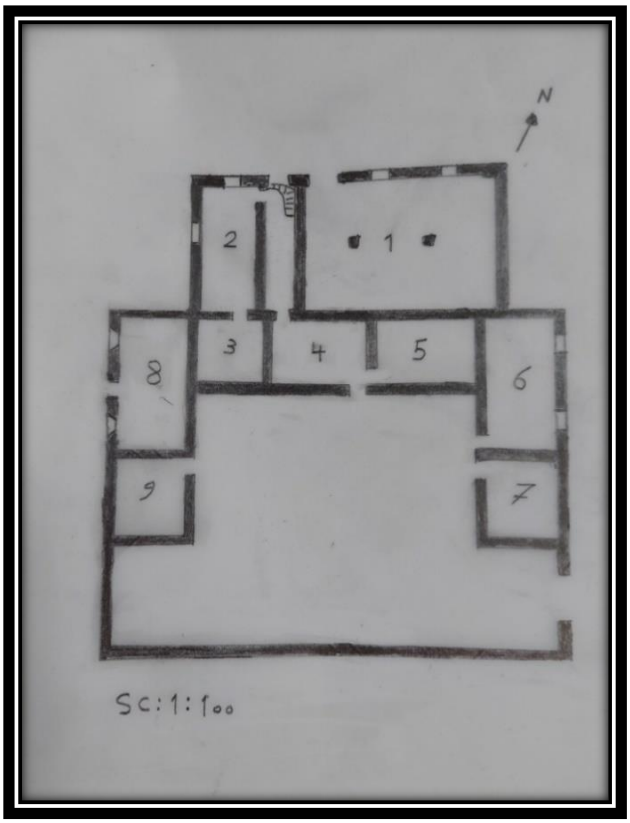

مخطط رقم (١)

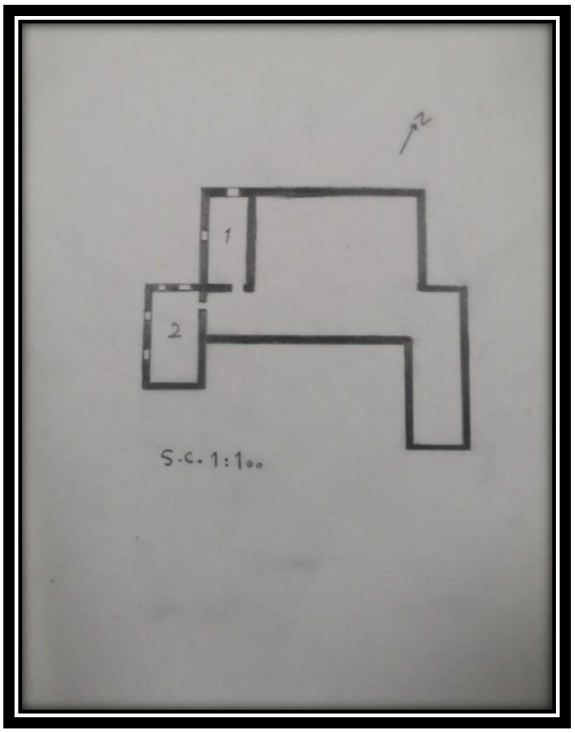

مخطط رقم (٢)

صورة رقم (١)

صورة رقم (٢)

صورة رقم (٣)

صورة رقم (٤)

صورة رقم (٥)

صورة رقم (٦)

صورة رقم (٧)

صورة رقم (٨)

صورة رقم (٩)

صورة رقم (١٠)

صورة رقم (١١)

صورة رقم (١٢)

صورة رقم (١٣)

صورة رقم (١٤)

الهوامش

References

١- الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت:٦٢٦هـ/١٢٣٨م)، معجم البلدان، بيروت، ١٩٩٦، مج٣، ج٥، ص٧٨.

٢- السيد وهب، محمد يونس السيد عبد الله، تاريخ تلعفر قديما وحديثا، الموصل، ١٩٦٧، ج١، ص١١٤.

٣- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت:٣٤٦هـ/ ٩٧٤م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٥، ج١، ص٣١.

٤- الشمري، فالح غضوي نومان، المباني التراثية الشاخصة في مدينة سنجار نماذج مختارة " دراسة آثارية – عمارية "، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٢٠، ص٩.

٥- باقر وسفر، طه وفؤاد، المرشد الى مواطن الآثار والحضارة " المرحلة الثالثة "، بغداد، ١٩٦٦، ص٦٤.

٦- البازو، شكر خضر مراد، تاريخ سنجار القديم (٣٥٥٠ ق.م-١٥١٥م)، ط١، دهوك، ٢٠١٧، ص٢١.

٧- صبري، محمد، عمارة البيوت الدائرية في مطلع العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى القديم، بغداد، ٢٠١٤، ص٢٦.

٨- ابو الصوف، بهنام، " فخار من عصور ما قبل التاريخ المتأخر منطقة سنجار – تلعفر"، مجلة سومر، بغداد، ١٩٧٥، ع٣١، ص٢١.

٩- باقر وسفر، المرشد " المرحلة الثالثة "، ص٦٤.

١٠- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر بن داود(ت: ٢٧٩ هـ/٩٢٢م)، فتوح البلدان، بيروت، ١٩٨٨، ص١٧٨.

١١- تعرضت المدينة في سنة (٢٠١٤) الى اجتياح من عصابات داعش الإرهابية الظلامية واستبيحت المدينة في مجزرة دموية راح ضحيتها المدنيون الأبرياء ولم تسلم حتى المواقع والمدن الآثارية التي لاحها التدمير، والتخريب، والسرقة في عموم مدينة الموصل الشامخة.

١٢ – خصباك، شاكر، العراق الشمالي "دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية"، ط١، بغداد، ١٩٧٣، ص١٤٣.

١٣- للمزيد من الاطلاع ينظر الى: الشمري، المباني التراثية، ص٦٨-٩٩.

١٤- عبد الكريم يوحنا بولص اليازجي القرقولي المعروف بعبد الكريم " المسيحي " ولقب بذلك؛ كناية عن الأخوة والتعايش بين المسلمين والمسيحيين، والسيد عبد الكريم أحد وجهاء المدينة ومن ملاكها إذ كان يملك عقارات وأراضي زراعية تبلغ مساحتها بحدود (١٩٠٠) دونموكان يجيد مهنة التجارة، والزراعة، وتربية الحيوانات؛ مقابلة شخصية مع القس ابراهيم شمعون في سنجار بتاريخ ٢٠٢١/١١/١١.

١٥- الحموي، معجم، ج٢، ص١١٢.

١٦- مقابلة شخصية مع القس ابراهيم شمعون في ٢٠٢١/١١/١١.

١٧- مصطفى، فريال، البيت العربي في العراق في العصر الإسلامي، بغداد، ١٩٨٣، ص١٦.

١٨- المضيف: مصطلح مأخوذ من اصل كلمة " الضيف " واحد وجمع وقد يجمع على الاضياف، و (ضيفه تضييفًا) و (ضافه ضيافة) إذا نزل عليه ضيفا؛ الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت: القرن السابع الهجري)، مختار الصحاح، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٨٦.

١٩- الدرج (السلم): واحدته درجة وهي ما يرتقى فيه ويكون في الغالب ثابتًا مبنيًا بالحجارة او الآجر والجص؛ كوركيس، عواد، " ألفاظ الحضارة "، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧، مج ٢٩، ص٥٣؛ أما السلم فجمعه سلالم وسلاليم، ويكون متنقلاً ويتخذ من الخشب أو المعدن ويصعد عليه الى الأماكن العالية؛ الدراجي، حميد محمد، المصطلحات العمارية والفنية في العمارة التراثية، ط٢، بغداد، ٢٠١٣، ص١٤٠.

٢٠- حمزة، حمزة حمود، النوافذ في العمارة العباسية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص١٩٨.

٢١- حسون، لطيف تايه، تخطيط وعمارة القصور التراثية في وسط وجنوب العراق حتى نهاية العهد الملكي (١٣٧٧ هـ/١٩٥٨م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٩، ص ٢٢٦.